المحاضن العلمية الشنقيطية: أدوارها العلمية والجهادية وأثرها الحضاري

د. سيدي محمد محمد المصطفى، أستاذ القانون والفقه المقارن، جامعة المحظرة الشنقيطية الكبرى.

مقدمة:

تُعد بلاد شنقيط منارة شامخة ورباطاً علمياً راسخاً، بفضل ما أبدعه علماؤها ومفكروها من جهود في شرح الوحي ونشره، واستنباط الأحكام المتعلقة بالدين والدنيا، مع حفظ نصوص الشريعة عن ظهر قلب، متمثلين بقول الإمام الشافعي ﷺ (ت 204هـ):

علمي معي أينما يممت يتبعني صدري وعاء له لا جوف صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وقول العلامة المختار ولد بونه ﷺ (ت: 1220هـ):

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا

فأنجبت المحضرة الشنقيطية علماء أجلاء أبدعوا في ميادين العقيدة الإسلامية واللغة والفقه والرياضيات والمنطق وغير ذلك من الفنون التي تعتبر أساسا في الحياة العلمية والفكرية السليمة، وذلك حينما بدأت النهضة العلمية في موريتانيا مع قدوم العالم المجاهد عبد الله بن ياسين الجزولي المالكي ﷺ (ت451هـ) وأقام رباطه [1] على ضفاف المحيط بجزيرة (تيدرة) [2]، حيث كان الناس في جهل مطبق، قال القاضي عياض ﷺ (ت: 544هـ) واصفًا حال أهل موريتانيا في ذلك الوقت: كان الدين عندهم قليلاً، وليس عند أكثرهم غير الشهادتين [3] وقال ابن خلدون ﷺ (ت: 808هـ) صنع عبد الله بن ياسين خيمة

---

[1] الرباط: الرِّبَاط حصن حربي يُقام في الثغور المواجهة للعدو للذود عن ديار الْمُسْلِمين، وهذه التسمية مقتبسة من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾. [الأنفال/ 60] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ 200] وفى الحديث النبوي في البخاري جاء فضل الرِّبَاط في سبيل الله تعالى عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها).

[2] جزيرة في المحيط الأطلسي على بعد نحو (60 كم) شمال غربي نواكشوط على ما يذكر، فأنشأوا هناك رباطا وأخذ خيار القوم يفدون عليه ويلتفون حوله يربيهم ويعلمهم ويرشدهم الى أن اكتمل عنده ألف من المرابطين، عندئذ انطلق عبد الله بن ياسين من رباطه يجاهد الكفرة والمنحرفين.

[3] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (المغرب: مطبعة فضالة، 1983م)، 2-64.

بسيطة له وجلس فيها وحده، ثم بعث برسالة إلى أهل جُدالة في جنوب موريتانيا، من يريد أن يتعلم العلم فليأتني [1].

وفي تلك الحقبة من تاريخ موريتانيا ظهرت معارف إسلامية كثيرة، وثقافة شرعية واسعة، فازدهرت مراكز العلم المعروفة ب(المحاضر)، فكان شيخ المحضرة متعدد المواهب جاعلا كل حياته وطاقاته وقفا على خدمة العلم ودين الله والدعوة إليهما ونشرهما فقامت نهضة علمية حضارية منقطعة النظير [2].

فانتشرت المحاضر في أرجاء البلاد، وأقبل الناس عليها بشغف فكان لهم في رحابها علم وجهاد وفكر وأدب.

أولاً: مشكلة البحث (الإشكالية)

على الرغم من المكانة العلمية والتاريخية الرفيعة التي تحتلها المحاضر الشنقيطية في تاريخ المنطقة، إلا أن الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذه المؤسسة بالتحليل لم تبرز بشكل كافٍ الأدوار العلمية والجهادية المتعددة التي اضطلعت بها؛ وما زال الكثير من تراثها الفكري وإسهاماتها الحضارية بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل.

وتنطلق إشكالية هذه الورقة من التساؤلات التالية: ما حقيقة الدور العلمي والجهادي الذي قامت به المحاضن الشنقيطية عبر التاريخ؟ وما الخصائص والمناهج التي تميزت بها؟ وما مكانة علماء الشناقطة وما خلَّفوه من تراث علمي وشعري؟ وما دور هذه المحاضر في جهاد الشناقطة ونشر الإسلام ومواجهة الغزو الاستعماري؟

ثانياً: أهمية البحث

تتجلى أهمية هذه الورقة في عدة جوانب:

1. الجانب التاريخي: تسليط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ المنطقة، وإبراز دور المحاضر الشنقيطية في تشكيل الهوية الثقافية والدينية في موريتانيا وغرب إفريقيا.
2. الجانب الحضاري: إظهار كيف أسهمت هذه المؤسسة في نشر الإسلام واللغة العربية والمحافظة عليهما.

---

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام، (بيوت، دار العلم للملايين، 2002م) 8-164.

[2] ولم يقتصر إشعاع تلك النهضة العلمية على حدود الأقطار الإفريقية، بل ترك علماء شنقيط ذكراً حسنا في المحافل والمنتديات العلمية، في الأقطار الإسلامية التي مروا بها، أو استوطنوها، وخاصة في حواضر الحجاز ومصر والشام والعراق وتركيا والمغرب، وقد شاعت وذاعت في هذه الحواضر والأقطار أسماء: محمد محمود ولد التلاميد، ولمجيدري ولد حبل، وسيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم، ومحمد يحي الولاتي، وعمر الفوتي، وأبناء ما يأبي، وأحمد الأمين، ومحمد الأمين الشنقيطي (آب) وغيرهم.

3. الجانب المنهجي: استخلاص الخصائص والمناهج التي تميزت بها المحاضر الشنقيطية، والتي يمكن أن تفيد في تطوير المؤسسات التعليمية المعاصرة.

ثالثاً: أهداف البحث

تهدف هذه الورقة إلى تحقيق النتائج التالية:

1. التعريف بالحياة العلمية والثقافية في بلاد شنقيط من خلال الحديث عن المحضرة الشنقيطية.
2. الكشف عن خصائص المحاضر الشنقيطية ومناهجها، والعوامل والأسباب التي أدت إلى ازدهارها.
3. بيان مكانة علماء الشناقطة وما خلَّفوه من تراث علمي وشعري.
4. التعريف بقادة المحضرة الشنقيطية وروادها.
5. إبراز دور الشناقطة في جهادهم لنشر الإسلام ومواجهة الغزو الاستعماري.

رابعاً: الدراسات السابقة

على الرغم من أن المكتبة الإسلامية تحفل بالعديد من المؤلفات التي تناولت تاريخ بلاد شنقيط وعلماءها، إلا أن الدراسات المستقلة التي تناولت "المحضرة الشنقيطية" كمؤسسة تعليمية متكاملة لا تزال محدودة. ومن أبرز ما اطلعت عليه من دراسات سابقة:

1. كتاب "بلاد شنقيط: المنارة والرباط" للخليل النحوي، حيث تناول تاريخ المنطقة ودورها العلمي.
2. كتاب "تاريخ بلاد شنقيط وموريتانيا" لمحمد فال بن المختار، الذي أرخ للحركة العلمية في المنطقة.
3. كتاب "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" للطالب محمد بن أبي بكر البرتلي، وهو مصنف في التراجم يضم العديد من أعلام المنطقة.

وتأتي هذه الورقة لتسد فجوة معرفية تتمثل في الدراسة التحليلية المتكاملة التي تجمع بين الأبعاد التاريخية والعلمية والجهادية للمحاضن الشنقيطية.

خامساً: منهجية البحث

اعتمدت هذه الورقة على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال:

1. الاستقراء: تتبع المعلومات المتفرقة في المصادر التاريخية والتراجم المتعلقة بالمحاضر الشنقيطية وعلمائها.
2. التحليل: تحليل هذه المعلومات واستخلاص الدلالات التاريخية والعلمية والحضارية منها.
3. الاستنباط: استنباط الخصائص والمناهج التي تميزت بها هذه المؤسسة التعليمية الفريدة.

وتقتصر الورقة على دراسة المحاضن الشنقيطية في المنطقة التي تشمل موريتانيا الحالية وما يتصل بها من الشرق والشمال والشمال الغربي، وهي حدود بلاد البيضان، مع الاعتماد على المصادر التاريخية الأصلية وكتب التراجم والفهارس.

سادساً: خطة البحث: تتناول الورقة المحاور التالية:

تمهيد: يعرض الإطار التاريخي والجغرافي والبشري الذي قامت فيه المحضرة، وتبلورت الدلالة المعرفية لكلمة "شنقيط".

المبحث الأول: المحاضر الشنقيطية: خصائصها ومناهجها، العوامل والأسباب.

المبحث الثاني: مكانة علماء الشناقطة وما خلَّفوه من تراث علمي وشعري.

المبحث الثالث: قادة المحضرة الشنقيطية وروادها.

المبحث الرابع: جهاد الشناقطة في سبيل نشر الإسلام ومواجهة الغزو الاستعماري.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات، تليها قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

لا يمكن فهم نشأة المحضرة الشنقيطية وأدوارها العلمية والجهادية دون الوقوف على الإطار التاريخي والجغرافي والبشري الذي احتضنها؛ ويستدعي ذلك التعريف بالشعب العربي الذي نطق باللهجة الحسانية، المشتهرة باسم "الحسانية" نسبة إلى قبائل أولاد حسان بن محمد بن مختار بن معقل، الجد الجامع لقبائل بني معقل، التي وفدت إلى المنطقة ضمن موجات هجرة بني هلال وبني سليم في أواخر القرن الخامس الهجري [1].

وقد عُرفت بلاد شنقيط بأوصاف عديدة منها: (صحراء الملثمين، بلاد التكرور، بلاد شنقيط)، لتشمل الرقعة المسماة بلاد موريتانيا؛ وهي المجال الذي شكّل مسرحًا لنشاط الحركة المرابطية، والذي عرف أيضا حلول اللغة العربية فيه محل اللهجات البربرية منذ القرن الهجري الثامن [2].

واشتهرتْ القبائل الصنهاجية في التارِيخ باسم (المُلَثَّمين) [3]، وأصبح اللثام شعارًا عُرفوا به إلى أن تسمَّوا بالمُرَابطين، ويرى بَعْض المؤَرِّخِين أن الملثمين ينتسبون إلى قبيلة لمتونه أحد بطون صنهاجة،

---

[1] حماه الله ولد السالم، حجاج ومهاجرون علماء شنقيط في البلاد العربية، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2010) 5

[2] حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط موريتانيا، من العصور القديمة إلى حرب شر ببه، (بيروت، دار اكتب العلمية، 2010) 17.

[3] وقد وردت أقوال كثيرة في سبب تسميتهم بالملثمين، منها: إن أجدادهم مِن حِمير كانوا يتلثمون لشدة الحرِّ، ومنها: أنَّهم آمنوا بالرسول ﷺ وكانوا قلة فاضطرُّوا للهرب لما غلبهم أهل الكفر فتلثَّمُوا بقصد التمويه، وقيل: إن طائفة منهم أغارت على عدو لهم فخالفهم إلى مواطنهم وهي خالية إلا مِن النساء والأطفال والشيوخ، فأمر الشيوخُ النساءَ بأن يرتدين لباسَ الحرب ويتلثَّمَنَ، وقد مدحهم الشاعر أبو محمد بن حامد باللثام وعين المقصود بالملثمين، فقال:

وكانت لمتونه تتولى رئاسة سائر قبائل مسوفة، وجدالة، ولمطة، وغيرها، ثم آلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة على عهد الأمير يَحْيَى بن إبراهيم الجدالي [1]

وعرفت بلاد شنقيط كذلك باسم (بلاد التكرور) في مرحلة سابقة واعتمد أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي (ت: 1219هـ) هذه التسمية في تأليفه عن أعيان المنطقة في "كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور".

ورسم بابا بن الشيخ سيديا (ت: 1342هـ) حدود البلاد بتعيين مناطقها فقال (إن بلاد آدرار وتكانت والقبلة والساحل والحوض الى بلاد السودان هي بلاد التكرور)، والشنقيطي هي النسبة الغالبة في تراجم العلماء والأعيان من الصحراويين لاسيما في المصادر المغربية.

قد خلّف علماء شنقيط عددًا من المؤلفات المستقلة في التاريخ من أهمها: "فاتحو إفريقيا وملكوها وقبائلها"، "لب الألباب في حقائق الأنساب" من تأليف الشيخ سيدي المختار الكُنْتي (ت: 1226هـ)، "الْحَسْوَة البيسَانِيَّةُ في علم الأنساب الحسّانية" و"أنساب صنهاجة" وهما مصنفان للمؤرخ محمد صالح بن عبد الوهّاب الناصري الولاتي الحوضي (ت: 1271هـ)، وحديثا، عدة أعمال ذات طابع موسوعي إخباري أنجزها رجال انتقلوا إلى رحمة الله [2].

وقد عرف من كتب التاريخ خروج الأمير يحيى بن إبراهيم (ت: 439هـ) من ديار المُلثَّمين قاصدًا بيت الله الحرام، لأداء فريضة الحج، وكانت العادة أن يقترن الحج بطلب العلم وفعلا بعد أداء الفريضة، انطلق الأمير يحيى يبحث عن المعرفة فوصل إلى حَلَقَةِ إمام المغرب في زمانه بمدينة القيروان الإمام أبي عمران الفاسي (ت: 430هـ) فأُعجِبَ الشيخ أبي عمران بالأمير يحيى لما لمسه فيه من حبه للخير وحرصه على التعلم، وتحدث إليه الأمير عن سوء الأحوال الاجتماعية في بلاده، وجهل قبائلها بأصول الدين وفروع الشريعة، وطلب من أبي عمران الفاسي أن يوفد معه أحد تلامذته ليعلم قَومه أصول الفقه والشريعة الإسلامية، وتدارسا أمر قيام دولة صحراوية سنية على أسس دينية، ورأى أبو عمران الفاسي من أجل تحقيق الأهداف التي رسموها أنه لا بدَّ من المرور بمراحل ضرورية في بناء الدَولَة المنشودة من مرحلة التعريف بالمنهج وتكوين أفراده وتربيتهم عليه، للوصول إلى مرحلة القُوَّة والتَّمكين [3].

قَوم لهم درك العلا في حمير ... لما حَوَوْا إحْرَازَ كُلَّ فضيلة

وإن انتموا صنهاجة فهمُ هم ... غلبَ الحياءُ عليهمُ فتلثَّموا

ابن خلكان، وفيات الأعيان (بيروت، دار صادر 1978) 7-130.

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة، نهضة الشروق، 1984) 13.

[2] حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط موريتانيا، من العصور القديمة إلى حرب شر ببه، (بيروت، دار اكتب العلمية، 2010) 6.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مصدر سابق، 271.

فأحال أبو عمران أمير المُلَثَمين على تلميذ له في بلاد السوس في أقصى المَغْرِب، وهو الفقيه وجاج بن زلو اللمطي (ت: 454هـ)، الذي كان يقيم في رباط هناك بمدينة نفيس يسمى دار الْمُرَابطين، ومن هذا الرِّباط أرسل وجاج صحبة الأمير يحيى الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي (ت: 451هـ) ليفقه هؤلاء الصحراويين في أمور دينهم [1].

وقد دخل عبدُ الله بن ياسين مع يَحْيَى بن إبراهيم في مضارب ومواطن ومساكن قبيلة جدالة في عام (٤٣٠هـ) فاستقبله أهلُها واستمعوا له، وأخذ يعلمهم، فكان تعليمُه باللغة العربية لطلبة العلم، والإرشاد الديني للعامة بلهجة أهل الصَّحرَاء البربرية، وقد دخل ابن ياسين جزيرة تيدرة عام (٤٣٣هـ) ومعه أتباعه المخلصون، ثم بدأ الانضمام إلى جماعته من أبناء المُلَثمين، وتكاثر عددهم حتى بلغ الألف رجل، وكان ﷺ يهتم اهتمامًا بالغًا بالفقهاء والعلماء ويرفعهم إلى مراتب عالية حيث التف حوله مجموعة من الفقهاء والعلماء ليساعدوه على تربية النَّاس وتعليمهم وتأهيلهم للمرحلة القادمة [2].

ويُعتَبر الفقيه ابن ياسين من علماء أهل السُّنَّة والجماعة، مالكي المذهب، استمدَّ أصول فهمه من أصول المالكية التي كانت ولا تزال ضاربة بجذورها في قلوب الشناقطة، ويرى علماء المالكية الذين تتلمذ ابن ياسين على كتبهم وفقههم أن المذهب المالكي له أصول في الاستنباط واستخراج الأدلة الشرعية [3]، وقد أمكن معرفة تفصيل هذه الأصول عنده باستقراء موطنه، والنّظر في المسائل والفتاوى الّتي نقلت عنه، وهي ترجع في حقيقة الأمر إلى أحد عشر أصلاً إجمالا، وستة عشر تفصيلا؛ وقد نظمها الشيخ أحمد بن محمد ابن أبي قفه الشنقيطي (ت: 1275هـ)، وشرحها شرحا العلامة الشيخ محمد يحيى الولاتي الشنقيطي (ت: 1330هـ) في كتابه إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك [4]،.

ويمكن القول إن هذا الرباط مثَّل النواة الأولى للمحضرة في بلاد شنقيط، محضرة وفقت في جعل الفقه بأمور الدين زادا ووقودا وسلاحا للمجاهد. وكان عبد الله بن ياسين قد استشهد في الجهاد سنة (ت: ٤٥١هـ) دون أن يتاح له وقت كبير لأداء رسالته كفقيه، وكمعلم أول في بلاد شنقيط، وقد تحول الفقيه الى مجاهد أدى رسالته بكفاءة [5].

ولما توفي عبد الله بن ياسين خلفه في الزعامة الروحية ونشر العلم والثقافة وفى منصب القضاء والافتاء الامام محمد بن الحسن الحضرمي (ت: 489هـ) الاغماتي دفين آزوكي قرب مدينة أطار الحالية، ولما توفي هذا الأخير خلفه قاضي مالكي آخر أصله من الأندلس ومن ذرية عمر بن عبد العزيز هو

---

[1] علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين (القاهرة، دار التوزيع والنشر، 2003) 17.

[2] سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، (بيروت، دار النهضة العربية 1985) 121.

[3] علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين (القاهرة، دار التوزيع والنشر، 2003) 49.

[4] الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981) ص 157.

[5] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987) 65.

إبراهيم الأموي (ت: 500هـ) أحد علماء المذهب كذلك، فعن هؤلاء الشـــيوخ الثلاثة من أقطاب المذهب اخذت قبائل شنقيط علمها وثقافتها [1].

المبحث الأول: المحاضر الشنقيطية خصائصها ومناهجها العوامل والأسباب.

كان أهل شـــنقيط يهتمون بحفظ شـــيئين اثنين في مقدمة ما يحفظون، وهما: كتاب الله بقراءة نافع ووقف أبي جمعة الهبطي، ومدونة سحنون، كما ذكر اليوسي من رجال القرن الحادي عشر في حديثه عن أهل الصحراء أنهم يحفظ المدونة منهم عن ظهر قلب ستة آلاف وسبعمائة وستون (6760) من الرجال، وخمسمائة من النساء [2].

وقد اشـــتهرت هذه القبائل بالدراســـة والحفظ فكان الغلام يحفظ المدونة قبل بلوغه، وكانت توجد في بعض المحاضر ثلاثمائة فتاة تحفظ الموطأ فضلا عن غيره من المتون.

وفى القرن الســادس الهجري وصــل الى شــنقيط الشــريف عبد المؤمن (ت: 538هـ) مؤســس قرية تيشــيت وجدُّ شــرفائها، ومعه الحاج عثمان جد بعض الأســر في مدينة وادان وكانا قد قرآ على القاضــي عياض وخرجا من أغمات، فعلى هذين العالمين أيضا قامت حركة علمية واسعة.

وعلى الرغم من انفتاحهم على العالم الإســـلامي ورحلتهم الســـنوية الى الحج واتصـــالهم بمختلف الشخصيات العلمية التي تعتنق شتى المذاهب فإنهم ظلوا متمسكين بالمذهب المالكي ولا يقبلون به بديلاً وكأن لسان حالهم ينشد:

أتــاني هواهــا قبــل أن أعرف الهوى فصـــــادف قــلــبــاً خــالــيــاً فــتــمــكــنــا

أما هذا المذهب فقد استوعبوه ودرسوا أصوله وفروعه واستظهروا متونه المطولة والمختصرة ووضعوا على مختصراته مختلف الشروح والحواشي والتعاليق ونظموا كثيرا منها.

وقد قامت أسس التعليم ومبادئه الأولى في المحضرة على التلقي من أفواه الرجال، مستندة إلى أساس صلب من أخلاقيات الاسلام الذي ربَّى الناس منذ نزول الوحي على طلب العلم من أهله والاستكثار منه والاخلاص في ابتغائه والصدق في الرواية وإسناد الخبر إسنادا كاملاً إلى مصدره؛ وهكذا صارت الرواية أساس الحركة العلمية لدى الشناقطة، خاصة مع قلة وسائل التدوين وندرتها. وكان الشناقطة يحفظون الأســانيد كما يحفظون المتون، وقد ورثوا قواعد وضــوابط التزموها في نقل المعارف وتلقيها، تربت عليها الأجيال ورعتها حق الرعاية، فكان طالب العلم يتلقى العلم عن شيخه بوجوه ثمانية:

---

[1] محمد عبد الكبير العلوي، علماء شنقيط والمذهب المالكي، ندوة الإمام مالك (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1980) 255.

[2] محمد المختار السوسي، المعسول (بيروت، المكتبة العصرية، 1999) 4-6.

1- السماع، إملاءً أو تحديثاً، كما كان رسول الله ﷺ يملي القرآن على كتبة الوحي ويحدث أصحابه، وقد ألزموا الطالب إذا تلقى بهذه الطريقة أن يقول "سمعت فلاناً وترخَّص بعضهم في استعمال صيغة "أنبأنا" أو "أخبرنا" أو "حدثنا" مع ترجيح الصيغة الأولى، لأن علماء الحديث والأصول اصطلحوا لكل صيغة على دلالة خاصة هي بها ألصق، وتحَّروا في اعتماد الصيغ دقة المشرع، احتياطا منهم في نقل العلوم.

2- القراءة، وهي أن يقرأ التلميذ النص على الشـــيخ. فإذا روى عنه، قال "قرأت على فلان"، أو "أخبرني فلان قراءة عليه".

3- المناولة، وهي أن يناول الشيخ تلميذه كتابا من سماعه. وقد تقترن المناولة بالإجازة فيقول الشيخ: هذا سماعي فاروه عني أو نحو ذلك.

4- الكتابة، وهي أن يكتب الشيخ للتلميذ شيئا من حديثه بخطه أو يأمر غيره بذلك. ولا ينبغي للمتلقي في هذه الحال إطلاق لفظ "حدثنا" أو "أخبرنا"، بل يقول "كتب إلى فلان".

5- الاجازة، وهي أن يقول "أو يكتب" الشـــيخ لتلميذه أجزت لك أن تروي عني كذا. وقد تكون إجازة في معين لمعين كـأن يجيز لزيـد روايـة الكتـاب الفلاني. وقـال ابن عبـد البر "الإجـازة لا تجوز إلّا لمـاهر بالصناعة حاذق بها".

6- الاعلام، وهو أن يعلم الشـيخ تلميذه أنه سـمع هذا الكتاب أو الحديث من فلان دون أن يأذن له في روايته.

7- الوصـية، وهي أن يوصـي عالم قبل موته بكتاب من مروياته لشـخص ويأذن له في روايته عنه، وهي صيغة نادرة.

8- الوجادة، وهي أن يجد حديثاً أو كتابا بخط شـخص عرف خطه أو اسـتوثق من أصـله. وله في هذه الحالة أن يقول "وجدت" أو "قرأت بخط فلان" [1].

وهكذا ورث الشناقطة أصول الرواية وقواعدها التي تطورت بتطور الحركة العلمية وكانت هذه الحركة تنمو في مجالس العلم وحلقاته التي انتظمت في المساجد، قبل نشوء المحاضر والمدارس. وقد بدأ المسجد يؤدي دوره التعليمي منذ وقت مبكر، فقد كان أهل الصـــفة مقيمين بمســـجد النبي ﷺ، يتلقون الوحي والمعارف الغضـة منه ﷺ في رحاب المسـجد، وتعزز هذا الدور مع انتشـار الاسـلام، فحين فتحت الشـام كتب يزيد بن أبي سفيان والي جند دمشق للخليفة عمر بن الخطاب رضـي الله عنه يطلب معلمين يلقنون أهل الشـام القرآن ويفقهونهم في شـؤون الدين فأرسـل إليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصـامت وأبا الدرداء، رضوان الله عليهم، وكلهم حفظوا القرآن على عهده ﷺ.

وهكذا الحال في بلاد شـــنقيط قد بدأ التعليم من المســـاجد في وقت مبكر حيث كان يوجد في كل مدينة صحراوية مسجد جامع كبير، وقد توجد مساجد أخرى، ومن أشهر تلك المساجد وأقدمها:

---

[1] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987) 49

1- جامع ولاته العتيق: (150هـ) وقد زارها ابن بطوطة (753هـ)، وحسب بعض الروايات أنه من إنشاء أحد أحفاد عقبة بن نافع الفهري، الذي فتح الله على يديه تلك المنطقة سنة (50هـ/670م) وقد بني في القرن الثاني الهجري، ومن أئمته المعروفين العاقب بن القاضي محمود قاضي تنبكتو في الفترة (968-988هـ)، وسيد أحمد الولي بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الله المحبوبي الولاتي (1034-1095هـ)، وغيرهم [1].

2- جامع تيشيت: (536هـ) مسجد قديم أسسه الشريف عبد المؤمن في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، وكانت إمامة المسجد لأبناء الإمام أحمدُ بن الإمام محمد، ومنهم محمد بن الإمام محمد بن محمد (ت: 1245هـ)، الإمام محمد بن أحمد بن الإمام (ت: 1246هـ) [2].

3- مسجد وادان العتيق: (536هـ) وهو المسجد العتيق الذي بناه الحجاج المؤسسون لمدينة وادان في حدود سنة (536هـ)، بحسب الرواية الشائعة، ويوجد مسجد ثان بناه يحظيه ولد الفاضل أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ومن أئمة الجامع العتيق السالك بن الإمام وأخوه أحمد سالم، ويحظيه بن الفاضل محمد بن حم [3].

4- جامع شنقيط: شنقيط الأولى (160هـ) والثانية (660هـ) جامع شنقيط قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم [4] كان بشنقيط أحد عشر مسجداً بالجامع العامر اليوم وهو العتيق، وله اليوم (1205) نيف وأربعمائة سنة [5].

وبذلك مثّل مفهوم المحظرة عند الشناقطة عنوانًا للرقي والإشعاع الثقافي وفضاء للتحصيل والتعليم؛ فما تعريف المحضرة الشنقيطية وما هي الخصائص المميزة لها:

تعريف المحضرة: المحضرة: جاءت من الحضور فأصلها لغة كلمة حضر والحضور عكس الغياب، أو جاءت من كلمة محضر وهي اسم مكان من حضر، فالمحضر هو المكان الذي يحضر فيه الناس [6]،

---

[1] تاريخ جدو البرتلي الولاتي: مذكرة تخرج، (موريتانيا، جامعة نواكشوط، 1993)، 33.

[2] حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني مدن القوافل، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008) 361.

[3] سيدي محمد محمد المصطفى، الأوقاف في موريتانيا الواقع والآفاق (السودان، مؤتمر الوقف الإسلاميّ التَّحديات واستشراف المستقبل، 2017) 5.

[4] سيدي عبد الله: (ت: 1235هـ)، عبد الله بن إبراهيم العلويّ الشّنقيطي، فقيه مالكي، تجرد أربعين سنة لطلب العلم في الصحاري والمدن، وأقام بفاس مدة، وحج، وعاد إلى بلاده، له كتب منها (نشر البنود ثلاث مجلدات في شرح ألفية له في أصول الفقه سماها "مراقي السعود" ونور الأقاح منظومة في علم البيان، وشرحها فيض الفتاح، وطلعة الأنوار منظومة في مصطلح الحديث، وشرحها هدى الأبرار، انظر الزركلي، الأعلام مرجع سابق 4-65.

[5] سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم، صحيحة النقل في علوية إدوعلي وبكرية محمد قلي (موريتانيا، المركز الموريتاني للبحث العلمي) 1-32.

[6] ابن منظور، لسان العرب، مادة حضر، 4-197.

ويقال لها المحضرة أو المحظرة بالظاء حيث إن اللهجة الصنهاجية تنطق حرف "ض" "ظ" والتي قيل: إنها جاءت تحريفاً لكلمة محضـــرة، أو إنها مشـــتقة من كلمة حظيرة التي كان الناس يقيمونها حول خيامهم وحيواناتهم [1]، أو أنها جاءت من الحظر أي المنع إذ يحظر أن يُؤتى بساحتها تصرف يحظره الشرع [2].

والمحظرة، وجمعها محاظر، مأخوذة من المحضر، وهو مصدر ميمي من الفعل "حضر" نقيض "غاب" أو من المحضر اسم مكان من حضر فالمحضر المكان الذي يحضر فيه الناس على المياه ونحوها، وفي لسان العرب :(الحاضرة والحاضر الحي العظيم أو الحي، والقوم إذا حضروا الدار التي تجمعهم) إلى ان قال (ويقال للمقيم على الماء حاضر، وهؤلاء قوم حضار إذا حضروا المياه) [3]قال لبيد بن ربيعة:

أقْـــوَى وَعُـــرِّيَ واسِـــطٌ فَبَـــرَامُ مِـــنْ أهْلِـــهِ، فَصُـــوَائِقٌ فَخِـــزامُ
فالواديـــانِ فكـــلُّ مَغْنًـــى مِـــنْهُمُ وعلـــى الميَـــاهِ مَحَاضِـــرٌ وَخِيـــامُ
عَهـــدي بهـــا الحـــي الجميـــعَ وفـــيهمُ قَبْـــلَ التَّفَـــرُّقِ مَيْسِـــرٌ وَنِـــدَامُ

فلعل من هذا المعنى جاء اسم المحضرة، ولكل محضرة شيخ يتولى تعليم الطلاب، وغالباً ما تسمى المحظرة باسمه وكان يتخذ في أغلب الأحيان من بيته مقراً للمحضرة [4]، ويدير شؤون المحضرة شخص يسمى المرابط، وهو في الوقت ذاته يتولى أمور الفتوى والقضاء في الحي ويعاونه بعض الطلاب الذين أوشكوا على التخرج [5]، وتختلف المحضرة عن الكُتّاب "المكاتب الخاصة بتعليم الأطفال " في المشرق حيث أن المحضرة أشبه بالجامعة لها نظام خاص ويدرس فيها العديد من العلوم.

المحضـــرة إذن (مؤســـســـة تعليمية شـــعبية، بدوية متنقلة، تعتمد التلقين والتعليم الفردي، وتقوم على الطوعية في الممارسة) [6] ومن خلال هذا التعريف تبرز سمات المحضرة وخصائصها، فهي جامعة تقدم للطالب معارف موسوعية في مختلف فنون المعرفة الموروثة ليصبح عالما وهو (من استوت عنده العلوم إلى مرتبة يعلمها أو صالحا لأن يعلمها) [7]، ويقسمون العلوم إلى سبع مجموعات وهي:

---

[1] آمنة بنت الولي اهميمد، "الحياة الثقافية في مدينة شنقيط خلال القرن 18 م/ 12 هـ" (موريتانيا، جامعة نواكشوط، 1990)، 20

[2] حفصة بنت محمد سيدينا، الحياة الثقافية في منطقة بوتلميت من خلال محضرة أهل داداة" (موريتانيا، جامعة نواكشوط، 1989)، 17

[3] إبن منظور، لسان العرب، مادة حضر، 4-198.

[4] سيد محمد ولد بزيد، محظرة أهل سيدى يحي، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، (موريتانيا، جامعة نواكشوط، 2009)، 6.

[5] محمد الصوفي بن محمد الأمين، المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، (السعودية جامعة الملك سعود، 1406هـ) 3.

[6] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق 53.

[7] محمد الحسن الددو، المحاضر الشنقيطية جامعات إسلامية متنقلة (موريتانيا، مركز تكوين العلماء 2016) 10.

أولا: علوم القرآن وتشمل: علم التجويد، وعلم القراءات، وعلم التفسير، وعلم طبقات القراء والمفسرين، وعلم أدلة الأحكام من القرآن.

ثانيا: علوم الحديث وتشمل: حفظ السنة رواية من الكتب، مصطلح الحديث، التخريج ودراسة الأسانيد، ثم العلل، ثم أدلة الأحكام من الحديث، الجرح والتعديل، تدوين السنة وما يتعلق بها،

ثالثا: علوم الفقه وتشمل: (15 علما) هي: علم الفقه المذهبي، والفقه المقارن الموسع، علم أصول الفقه، علم القواعد، علم الأشباه والنظائر، علم تخريج الفروع على الأصول، علم طبقات الفقهاء وتراجم الأعلام، علم النوازل والفتاوي، علم الأقضية، علم الفرائض، علم الآداب الشرعية "السلوك"، علم الفتوى صناعة المفتي، علم الواقع، طرق الاستنباط، الجدل الفقهي.

رابعا: علوم اللغة وتشمل (14 علما) كذلك هي: علم النحو، علم الصرف، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، علم الاشتقاق، علم الهجاء، علم مفردات اللغة، علم العروض، وعلم القوافي، علم التاريخ "كتابة التاريخ"، علم الكتابة. دواوين الشعر "المعلقات"، والمتون النثرية.

خامسا: العلوم النقلية وتشمل: علوم السيرة، التاريخ، علم فتوحات الامصار، علم الأنساب.

سادسا: علم العقائد: عقائد السلف، عقائد الخلف، عقائد المتكلمين، الجدل العقدي، علم المنطق، وعلم الفلسفة، أسرار الحروف، علم السلوك والتصوف، علم الآداب الشرعية.

سابعا: علوم: الحساب والهندسة، والجغرافيا، الفلك، الطب.

ويتدرج الطالب في دراسة هذه المعارف من مستوى ابتدائي أو متوسط إلى أعلى مستويات التخصص.

ولا يخفى أن المحاضر ازدهرت وانتشرت وتبلورت شخصيتها في رحاب البادية، لا في المدن، وليس لمؤسسة هذا شأنها أن تكون قارة ثابتة، بل هي حالة مترحلة متقلبة تقلب البدو في منتجعاتهم ومسارح إبلهم وأبقارهم [1]، وإلى هذه الميزة يشير محيي الدين صابر حيث يقول إن نظام المحضرة "نظام يكاد يكون دون نظير، استنبط من واقع الحياة البدوية" [2].

ومن الصعب على من لم يعايش المحاضر الشنقيطية أن يتصور طبيعتها، إذ كثيرًا ما تُربط البداوة في الأذهان بالجهل وقلة التعليم، فالثقافة جزء من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس تقترن غالبا بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها غير أن المحاضر الشنقيطية تُعد نموذجًا فريدًا في نوعه.

---

[1] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق 55.

[2] محمد المختار بن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا (الرباط، دار الأمان، 2003) 28.

المبحث الثاني: مكانة علماء الشناقطة وما خلَّفوه من تراث علمي وشعري:

أشرنا سابقا إلى أن بلاد شنقيط عرفت المذهب المالكي وتمسكت به أول ما اعتنقت الإسلام الصحيح على يد زعيمها الروحي الفاتح عبد الله بن ياسين الجزولي أحد فقهاء المذهب الذين أبلوا بلاء حسنا في نشر الاسلام واستئصال جذور الوثنية والالحاد.

وانسجاما مع أهداف البحث في رصد المعرفة وتطورها وكيفية صناعتها في هذه البلاد وطبيعة العلاقات القائمة بين علمائها لنقيم شجرات نسب علمي تبرز الصلات بينهم وكيفيات ارتباطاتهم وتفرعاتهم، واتحاد مشاربهم أحيانا وتباينها أحيانا أخرى إلى غير ذلك.

خاصة في ظل ضعف المعرفة بأعلام هذه البلاد جملة وتفصيلا، وقلة ذكرهم حين يذكر أضرابهم من بني العالم الإسلامي، رغم الشأو العلمي الكبير الذي بلغ بعضهم في العلم ونظرا للجهد البارز الذي بذلوا في سبيل نشر الثقافة العربية الإسلامية في العالم الإسلامي وفي هذه المنطقة القصيّة من دار الإسلام.

سأتحدث في هذا المبحث عن مكانة علماء الشناقطة وما خلَّفوه من تراث علمي وشعري كان له الأثر الكبير في نشر العلم والمعرفة في بلاد شنقيط وفي أصقاع العالم، على مدى القرون الخمس الأخيرة.

خرّجت المحضرة أجيالًا من العلماء الحفاظ الذين كانوا يحملون العلم معهم في الحل والترحال، وينشرونه حيثما ارتحلوا، صدورهم خزائن لكل ما طالعوه أو درسوه؛ كانوا يستأنسون بقوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات/ 10] وكانوا في شأنهم هذا خير خلف لخير سلف فقد قامت الحركة العلمية قديما على حفظ النصوص واستظهارها.

فقد ظهر في الأندلس وهي من منابع الثقافة الشنقيطية علماء حفاظ نوابغ، وجد فيهم الشناقطة نموذجا ومثالا يحتذى فكانوا يستحثون همم الطلبة بقول أبي عمرو الداني "ما رأيت شيئا إلا كتبته وما كتبت شيئا إلا حفظته وما حفظته فنسيته" [1]، وقد أحرقت كتب أبي محمد ابن حزم الأندلسي فقال [2]:

دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس اذ هو في صدري

لذلك كثر في هذه البلاد الفقهاء والعلماء الحفاظ وآثارهم تنم عن علو كعب في العلم ورسوخ واستيعاب لشتى أبواب ومباحث الشريعة الإسلامية، والحال أنهم لم يحظوا بما يستحقونه من الذكر في كتب التراجم والطبقات فيما كتب لحد الساعة من كتب تتعرض للرجال والمناقب والطبقات، وقد يكون سبب الجهل بهذه الأعلام والعامل الأبرز في إغفالها في كتب التراجم المتخصصة، يتأتى من تصور

---

[1] ملَكة أبيض، التعليم الإسلامي في المسجد الجامع بدمشق قبل نشوء المدارس، (مجلة العربي، العدد 330، 1986).

[2] محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، مرجع سابق، 30.

اختزالي لمكان وجود العلوم الدينية والعلوم المساعدة المدونة باللغة العربية على حواضر العالم العربي والإسلامي التاريخية أو يُقصّر بالبحث والاستقصاء عمّا سواها، إضافة إلى عوامل أخرى منها [1]:

1. قوة الحاجز الطبيعي الوعر المتمثل في الصحراء الذي يسد بين سكان هذه الأراضي وجيرانهم من أهل دار الإسلام شرقا وشمالا ويحد كثيرا من حركة المرور والتنقل.
2. تنكب مساكن أبناء هذه المنطقة عن عواصم العلم الكبرى.
3. سلوك نمط عيش قائم على البداوة يعم على حياة أغلب السكان ويدعو إلى تصنيفهم بادئ الرأي في عداد العوام كأغلب البداة في البلدان الأخرى.
4. عزوف المتعلمين من السكان عن الاشتغال بمسائل التاريخ وبتراجم الرجال بشكل شبه مطلق نظرا لعدم الوعي بأهمية ذلك، ونظرا للرؤية النفعية التي تجعلهم يرغبون غالبا عن تدوين ما سوى العلوم الشرعية أو متعلقاتها، ومن الأقوال المأثورة المتداولة لديهم: "رحم الله من مات وماتت معه ذنوبه" فقلما كانوا يدونون حدثا تاريخيا أو واقعة مهما بلغت من الأهمية وإن فعلوا فإنما لغرض آخر غير مجرد الإخبار.
5. ندرة الوسائل المادية المعينة على التدوين والنشر كقلة أدوات الرقن والاستنساخ وانعدامها أحيانا، والخلو من المطابع ودور النشر ووسائل الإشهار والإعلام، إلخ.

وقد ألف في هذا الباب أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت: 799هـ) المعروف باسم "الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب" والذي اشتمل على أكثر من 630 ترجمة ذكر المؤلف فيه مشاهير الرواة لمذهب الإمام مالك والمؤلفين من حفاظ الحديث من أصحابه، ومما يضاف إليه من تكميلات ما قام به الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الشنقيطي (ت: 1219هـ) في كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، وما كتبه الدكتور محمد المختار ولد أباه دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا منشورات الجامعة التونسية 1981، وكتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي 1989، وما قام به الفذ العلامة الدكتور يحيى ولد البراء من الترجمة لأكثر من 1000 عالم وفقيه من أهل هذا القطر في الموسوعة الكبرى لتراجم فقهاء "غرب وجنوب غرب الصحراء"، وقامت كذلك إدارة الثقافة والفنون بوزارة الثقافة بالترجمة ل 212 علم من أعلام شنقيط.

ولذلك احتلت التراجم والسير والأسانيد مكانة رفيعة في دائرة المعارف الخاصة بالعلوم الشرعية الإسلامية وبالثقافة العربية المصاحبة لها، وهذه المكانة تجد أبلغ تعبير عنها وأجمعه في قولة الإمام أبي حنيفة النعمان (ت: 150هـ) المشهورة: (الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير الفقه) وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود/ 120] وقد قال

---

[1] يحيى ولد البراء، الموسوعة الكبرى لتراجم فقهاء غرب وجنوب غرب الصحراء، (موريتانيا، يوسف بن تاشفين، 2007) 3.

الإمام مسلم ﷺ في مقدمة صحيحه: "وإنما فعل العلماء ذلك لئلا يقصر بالرجل العالي الدرجة عن درجته، ولئلا يرفع متضع الدرجة عن درجته، لحديث عائشة ﷺ: "أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم" [1]

من هنا كان من الضـــروري على كل من أفتى في نازلة أو مســـألة ما أن يثبت اســـمه كاملا لكي يتعرف عليه القارئ إن أمكنه ذلك، أو يستطيع أهل الاختصـاص تَبيُّن حاله العلمية والمذهبية والمسلكية، فيصـح حينئذ أن ينقل عنه وأن يعتمد على قوله إن حصلت فيه الشروط اللازمة؛ لأن التعريف بحال من جُعل تقليده بين عامة المسلمين وبين الله حجة، واعتُبر اقتفاء هديه في الحلال والحرام أوضح محجة، أمرٌ لازم لقول ابن سيرين الذي رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم). [2]

ومن الحجج الشاهدة على رسوخ قدم علماء بلاد شنقيط وتمسكهم بالمذهب المالكي كثرة المصنفات في شتى العلوم الشرعية والعربية خاصة ما يتعلق بالفقه المالكي، مختصر الشيخ خليل وتحفة ابن عاصم ولامية الزقاق، ومن أهم الشروح القيّمة التي وضعها الشناقطة على مختصر الشيخ خليل [3]:

1. شرح الشيخ العلامة الحاج عثمان الواداني (ت: 933هـ) في القرن العاشر الهجري المعروف بموهوب الجليل في شرح مختصر خليل المعروف بـ: "مُجَمَّع الواداني" و "المُجَمَّع" و "مواهب الجليل" و "مجموع المسائل" لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن شمس الدين بن محمد بن إبراهيم بن الحاج عثمان بن محمد بن البان الحاجي الواداني
2. طرة على مختصر خليل، للعلامة اشفغ الخطاط (آبيه) بن عمر بن يعقوب بن إدريس (ت: 1196هـ).
3. المعين على مختصر خليل للعلامة الطالب أحمد بن محمد رار التنواجيوي (ت: 1210هـ).
4. شرح شفاء العليل على مختصر خليل للفقيه الجليل عبد الله بن عبد الرحمن (والد) (ت: 1213هـ)، فقد شرحه في مجلد ضخم تعرض فيه كثيرًا لحل ما غمض من مسائله وإشكالاته، وسمى شرحه هذا ب (معين والد).
5. فتح الجليل شرح مختصر خليل للكصري بن محمد بن المختار بن الكصري الإديلبي (ت: 1235هـ).
6. شرح العلامة حبيب الله بن القاضي الايجيجبي (ت: 1241هـ) ويعرف بمعين حبيب الله.
7. شـــرح مختصـــر خليل في 14 مجلدا للعلامة محمد الأمين بن الطالب عبد الوهاب الجكني (ت: 1245هـ).

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب تنزيل الناس منازلهم، رقم الحديث 4842.

[2] صحيح مسلم، مقدمة الصحيح (16/1)، سنن الدارمي الحديث رقم (424).

[3] المختار ابن حامدن، حياة موريتانيا الثقافية، (الدار العربية للكتاب.) 2-9.

8. شرح الميسر الكبير على مختصر خليل للعلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني (ت: 1277هـ) وله الميسر الصغير كذلك، وكلاهما في غاية الأهمية، أمضى أكثر من 40 سنة في تحريره.
9. شرح لوامع الدرر في هتك أستار المختصر للعلامة محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد المجلسي (ت: 1302هـ)، وشرح ثمان الدرر لابنه العلامة عبد القادر بن محمد سالم المجلسي.
10. مغني قراء المختصر عن التعب في تصحيح الطرر للعلامة أحمد بن محمد عينين بن أحمد الهادي اللمتوني (ت: 1321هـ)
11. الظفر بشرح المختصر للعلامة محمد مولود بن أحمد فال "آدّه" اليعقوبي (ت: 1323هـ).
12. النصيحة للعلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان بن محمد بيبه بن المختار (ت: 1325هـ).
13. تعليق العلامة حبيب الله بن أحمد بن محمد حرمه بن عبد الله التاكنيتي (ت: 1337هـ).
14. فيض الجليل على مختصر خليل للعلامة سيدي محمد الشريف بن الصبار المجلسي (ت: 1340هـ).
15. فتح الجليل على مختصر خليل للقاضي: محمد عبد الله بن يحظيه الگناني (ت: 1347هـ).
16. التيسير في شرح مختصر خليل للعلامة محمدو ولد الصفي بن محمد التندغي (ت: 1347هـ).
17. شرح مختصر خليل بالمذاهب الأربعة وأصح الدليل للعلامة الشيخ محمد الخضر بن ما يأبى الجكني (ت: 1354هـ).
18. شرح مختصر خليل للعلامة الشيخ سيديا بن الشيخ سليمان الديمانى (ت: 1364هـ).

الى غير ذلك من شروح المختصر والرسالة وغيرهما من كتب فروع المالكية.

ورغم ما كان بين القوم من تباين في الآراء داخل المذهب ورغم احتدام الصراع في كثير من القضايا فإن جمهور العلماء ومحققيهم في شنقيط لم يجيزوا لأنفسهم ان يحتجوا لرأي أو يفتوا في مسألة الا بالمذهب المالكي [1].

ويظهر ذلك من دفاع الشناقطة عن المذهب المالكي ومن تمسكهم به، ومن ذلك ما لقيه ابن حبيب الله اليعقوبي (ت: 1205هـ) من نقد وتجريح وردود قاسية من لدن كافة العلماء في بلاده، وقد كان لابن حبيب الله اليعقوبي هذا نفوذ روحي كبير ومكانة مرموقة بين علماء شنقيط حتى عدوه أحد أربعة علماء لم يبلغ أحد مبلغهم في شنقيط، فلما ظهر منه الميل الى الاجتهاد والاعتماد على غير فروع المذهب واجه معارضة شديدة من معاصريه، ورمي بالضلال والابتداع حتى قال مدافعا عن نفسه:

لو كنت بدعيا لما كان الصواب عندي الأحاديث الصحاح والكتاب

ومن المسائل التي أُخذت عليه تساؤلاته التي يقول فيها:

---

[1] حماه الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط موريتانيا، مرجع سابق 49.

ما وجه مدحكم للخلاف وقولكم كل مجتهد في الفروع مصيب ومن قلد عالما لقي الله سالما، الاختلاف بين العلماء رحمة، وقد ورد ذمه في القرءان والحديث، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٣]، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران/ ١٠٣] وحبل الله كتابه كما جاء في الحديث الى أن يقول في تحريم الخلاف قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران/١٠٥]. الى أن يقول ﷺ: "انه ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل فما النجاة منها يا رسول الله: قال ﷺ كتاب الله" [1] إلى آخر كلامه في هذا السياق وهكذا الحال عند الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت: 1226هـ)، قد عُرف عنه أنه كان يرد الفروع إلى أصولها وما عرى منها عن أصل أظهر ضعفه وشذوذه وقد قامت على يده دعوة الى العمل بالكتاب والسنة وعرض أقوال الفقهاء عليهما كما اشتهر بالتعصب للمذهب المالكي وقد لخّص منهجه العلمي في بائيته المشهورة: [2]

وإياك ترضى باقتناص فروعها ... بغير ارتشاف من مشاربها العذب
فان الاصول كالقواعد تقتضي ... طمأنينة للقلب والنجح بالارب
فمن لم يقيد بالكتاب علومه ... بغى وطغى واستبدل البسر بالرطب

الى أن يقول:

ومن يترك الفقه المهلب رغبة ... فقد رام تجهيلا وعن رشده يذب

والشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: (ت: 1321هـ) الذي بذل النفس والنفيس في تحصيل الكتب وجمعها، وتعطينا قصته مع أمير مصر صورة عن ولعه وشغفه بالكتب المالكية حيث بالغ الامير في إكرامه وأهدى اليه جوادا من عتاق مصر فاشترى به شرح الحطاب على مختصر الشيخ خليل.

ومن أبرز خدماته للمذهب نظم ألفيته في الاصول المالكية المسماة بمراقي السعود وشرحها القيم المعروف بنشر البنود وقد اجاد فيه وأفاد [3].

وقد أسدى بهذا الكتاب خدمة جليلة للمذهب المالكي لما جمع فيه من الاصول المالكية فتلقته المدارس بالقبول وعكفت على دراسته وجعلته الكتاب المعتمد عندها وفضلته على سائر الكتب المتداولة في هذا الفن، ويتحدث سيدي عبد الله عن أسباب تأليفه لهذا الكتاب فيقول:

هذا وحين قد رأيت المذهبا ... رجحانه له الكثير ذهبا

---

[1] سنن الترمذي، باب فضائل القرآن، الحديث رقم 2906.

[2] محمد عبد الكبير العلوي، علماء شنقيط والمذهب المالكي، ندوة الإمام مالك (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1980) 235.

[3] محمد عبد الكبير العلوي، علماء شنقيط والمذهب المالكي، المصدر السابق 230.

وما سواه مثل عنقا مغرب في كل قطر من نواحي المغرب
أردت أن أجمع من أصوله ما فيه بقية لذي فصوله

المبحث الثالث: قادة المحضرة الشنقيطية وروادها:

كانت بلاد شنقيط "موريتانيا" منقسمة اجتماعيًا إلى فئات متعددة لكل فئة منها وظائفها وأدوارها الاجتماعية الخاصة ضمن بنية سكانية قديمة صاغتها التحولات التاريخية التي عرفتها ابتداء من قيام دولة المرابطين إلى غاية مجيء قبيلة حسان التي أقرت المجتمع الصنهاجي والموريتاني عموماً [1].

ومن هذه العناصر البشرية العنصر المعروف باسم البيضان ويطلق على الذين يتكلمون اللغة العربية من العرب والبربر والزنوج، أما العنصر الثاني فعرف باسم السودان ويطلق على الذين يتكلمون اللغات الإفريقية الثلاث (السنونكية، البولارية، الوولفية) [2] ، وقد انقسم المجتمع الموريتاني إلى فئات اجتماعية أخذت كل واحدة منها موقعاً لها في السلم الاجتماعي وهي:

فئة حسان (العرب): حياتهم تقوم على الغزو والحرب ويعيشون على المغارم التي يفرضونها على القبائل التي تقوم بممارسة تجارة القوافل.

فئة الزوايا (الطلبة وأهل العلم): وهم قبائل مسالمة ذات نزعة علمية ودينية تتولى وظائف الإمامة والقضاء والتدريس وتمارس النشاط التجاري وتربية الأنعام وحفر الآبار وهي من أصول المرابطين [3].

ويذهب المختصون في التاريخ الثقافي الحديث للمنطقة إلى أن من أهم التحولات الثقافية الناجمة عن تبدل السياقات الاقتصادية والاجتماعية خلال القرنين 12 و13هـ، هو "تحول الإطار الاجتماعي لإنتاج المعرفة من محيط ضيق، إلى محيط أوسع" [4].

فأثرت المحضرة في تلك التحولات، وشكلت الإطار المؤسسي الجديد لهذا التوسع الأفقي والعمودي للثقافة الشنقيطية. "وقد مكنت تلك المؤسسة التعليمية "المحضرة" البدو الرحل الموريتانيين من التميز عن غيرهم من البداة الرحل في المناطق العربية الإسلامية الأخرى، بامتلاكهم تقاليد ثقافية مكتوبة راسخة الجذور اعتاض بها الشيخ محمد المامي (ت: 1282هـ) عن غياب الرموز الإسلامية في وسطه الجغرافي فقال[5]:

---

[1] إلهام محمد علي ذهني، جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850/1914 (دار المريخ للنشر، 1988) 59.

[2] حسان حلاق، المعالم التاريخية والأثرية والسياحية في العالم العربي، (بيروت، دار النهضة العربية، لبنان، 2009) 236.

[3] فتحية عبيدي، الاحتلال الفرنسي لموريتانيا 1900–1960، (الجزائر، جامعة أحمد دراير 2017) 8.

[4] ددود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر الهجريين (18–17) (المغرب، جامعة محمد الخامس، 1993) 86.

[5] الشيخ محمد المامي، كتاب البادية مخطوط، (موريتانا المعهد الموريتاني للبحث العلمي 2003) 12.

إِنْ لَمْ تَكُنْ شَنْقِيطُ فِيهَا زَمْزَمُ فَفِيهِمُ لِلْعِلْمِ رُكْنٌ أَقْدَمُ

ومن هذا المنطلق، وفي عرضنا لأبرز رواد المحضرة الشنقيطية أخذنا في الحسبان ثلاث خصوصيات هي: الشهرة في المجال لدى الخاصة والعامة، والإنتاج المدون، والإشعاع العلمي.

ونظرا لاتساع عدد علماء بلاد شنقيط فسيقتصر العرض على مجموعة محدودة نسبيًا تستجيب للمعايير السابقة دون تصنيف فتشمل بعض المشتغلين بالقرآن والحديث والأصول ومشاهير النحاة والأدباء والمتصوفين وأصحاب المناقب والسير، ودون عرض تفاصيل حياتهم لشهرتهم، بدءًا من القرن الخامس الهجري مع التركيز على القرنين 12 و13 خصوصا في المجال الفقهي. [1]، ومن هؤلاء الشناقطة الذين خدموا المذهب المالكي خدمة خاصة ودافعوا عنه، وذاع صيتهم وانتشرت مؤلفاتهم، حسب السبق الزمني اعتبارا لتاريخ الوفاة:

ابوبكر محمد بن الحسن المرادي المعروف بالإمام الحضرمي (ت: 489هـ) [2]، محمد بن أبي بكر الحاجي الوداني (ت: 938هـ)، اعمر لولي بن الشيخ محمد عبد الله (ت: 1070هـ)، محمد بن الحاج أحمد بن أند عبد الله المحجوبي (ت: 1070هـ)، يقول فيه الشاب الشاطر الشنقيطي:

وبعد يا ابن ولد المحجوبي لازلت تعطي صفوة القلوب

كما إلى الوعظ تميل ميلا في زمن صار النهار ليلا

أحمد بن أحمد أكد الحاج (ت: 1086هـ)، سيد أحمد بن ايد القاسم (ت: 1086هـ)، اشفغ عبد الله بن عمر الشمشوى الابهمي (ت: 1101هـ)، أتفغَّ الأمين بن سيدي الفالي بن مَحنض بن دَيمان (ت: 1101هـ)، محمد الأمين المختار بن بلعمش العلوي (ت: 1107هـ)، أبوبكر بن الطفيل بن احمد بن محمد المسلمي التيشيتي (ت: 1116هـ)، سيد محمد ابن موسى ابن أيجل الزيدي (ت: 1117هـ) عالم موسوعي، الحاج الحسن بن أعبدي الزيدي الحساني (ت: 1122هـ)، عبد الرحيم بن احمد لولى المحجوبي (ت: 1130هـ)، سيد محمد بن علي بن الطالب بوبكر المحجوبي (ت: 1137هـ) [3]، الحاج احمد بن اند عبد الله المحجوبي (ت:1140هـ)، سيدى عبد الله بن رازكه العلوى (ت: 1144هـ)، عمر بن بابه المحجوبي الولاتي: (ت: 1145هـ) [4]، الحاج أبى بكر بن الحاج عيسى بن أبى هريرة الغلاوي:

---

[1] ددود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر الهجريين (18-17) (المغرب، جامعة محمد الخامس، 1993) 78.

[2] سيدي محمد محمد عبد الله بزيد، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، (موريتانيا، المكتبة الوطنية، 1994) 4.

[3] سيدي محمد محمد عبد الله بزيد اليعقوبي، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، المصدر السابق، 46.

[4] الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981) 182.

(ت: 1146هـ). [1]، محمد بن أحمد بن حسين الشمسدي المعروف بالإمام المجذوب (ت: 1150هـ)، أحمد بن فاضل الشريف (ت: 1153هـ) [2]، محمد بن آب الغلاوي التواتي (ت: 1160هـ) عالم نحوي، اشتهر بنظمه الذي سهل به منثور ابن آجروم، وهو نظم اعتمده علماء المحاضر، في المرحلة الأولى من التعليم المحضري: يقول في مقدمته:

قَـــــالَ عُبَيْـــــدُ رَبِّـــــهِ مُحَمَّـــــدُ اللهَ فـــــي كُـــــلِّ الأُمُـــــورِ أَحْمَـــــدُ

مُصَـــــلِّيًا عَلَـــــى الرَّسُـــــولِ المنْتَقَـــــى وَآلِـــــهِ وَصَـــــحْبِهِ ذَوِي التُّقَـــــى

وَبَعْـــــدُ فَالْقَصْـــــدُ بِـــــذَا المَنْظُـــــومِ تَسْـــــهِيلُ مُنْثُـــــورِ ابْـــــنِ آجُـــــرُّومِ

الطالب محمد بن الطالب اعمر الخطاط الولاتي (ت: 1165هـ)، منيره بن حبيب الله الشمشوى الالفغى (ت: 1165هـ)، محمد بن عمر الخطاط البرتلي الولاتي (ت: 1165هـ): [3]، محمد اليدالى الشمشوى (ت: 1166 هـ) وقد أرَّخ أحد العلماء لمولده ووفاته بقوله:

وولـــــد اليـــــدالى عـــــام وضـــــش وبعـــــد ســـــبعين ضـــــجيع نعـــــش

وبعـــــدما انهـــــي كتابـــــه الـــــذهب بـــــواو اعـــــوام الـــــى الله ذهـــــب

الشريف حماه الله التيشيتى (ت: 1169هـ) [4]، عبد الله بن احمد بن اند عبد الله المحجوبي (ت:1172هـ) [5]، القاضى سنبير بن القاضى سيد الوافى الاروانى (ت: 1180هـــ)، أحمد بن الخليفه بن أحمد بن أكد الحاج العلوي الشـــنقيطي (ت: 1188هـ) [6]، اشـــفغ الخطاط بن محمد بن عمر اوبك البرتلي (ت: 1196هـ).

ولا نبالغ إذا قلنا إن القرن الثالث عشر الهجري كان عصرًا ذهبيًا للنهضة العلمية في بلاد شنقيط، فلا نجد قرنا قبله ولا قرنا بعده فيه هذا العدد الكبير من مشـــاهير العلماء: في شـــتى إنحاء البلاد، وفي مختلف فروع العلم؛ فمن علماء هذا القرن:

المجيدري ولد حب الله اليعقوبي (ت: 1205هـ)، الطالب أحمد بن محمد رار التنواجيوي (ت: 1210هـ)، الطالب محمد بن أبي بكر الصـــديق البرتلي (ت: 1219هـ)، المختار بن بونه الجكني (ت: 1220هـ)، الشـــيخ ســـيد المختار الكنتي (ت: 1226هـ)، ســـيد عبد الله ولد الحاج ابراهيم العلوي (ت:

---

[1] الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور، المرجع السابق، 76.

[2] الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور، المرجع السابق، 76.

[3] الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق 578.

[4] المختار ابن حامدن، حياة موريتانيا الثقافية، (الدار العربية للكتاب.) 2-201.

[5] أحمد سالم محمدو، وآخرون، تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال، (موريتانيا، المدرسة الوطنية لإدارة) 110.

[6] إبن حامدن المختار، حياة موريتانيا الثقافية، مرجع سابق، 205.

1235هـ)، حبيب الله ولد القاضـــي الإجيجبي (ت: 1240هـ)، غالي بن المختار فال البصـــادي (ت: 1240هـ)، حرمة ولد عبد الجليل العلوي (ت: 1243هـ)، أحمد بن العاقل الديماني (ت: 1244هـ)، عبد الله ولد سـيد محمود الحاجي (ت: 1250هـ)، سـيد محمد بن اعلي العلوشـي الدواودي (ت: 1256هـ)، الطالب أحمد ولد إطوير الجنه الوداني الحاجي (ت: 1265هـ)، إدييجه الكمليلي (ت: 1270هـ)، صـالح بن عبد الوهاب الناصـــري (ت: 1271هـ)، محمد (ولد الطـــــالطلبة) اليعقوبى (ت: 1272هـ)، أحمد الصغير المسلمي (ت: 1272هـ)، محنض بابه بن اعبيد الديماني (ت: 1277هــ)، الشيخ محمد المامي اليعقوبي من أهل بارك الله (ت: 1282هـ)، الشـــيخ ســـيديا الكبير الانتشـــائي الأبييري (ت: 1284هـ)، محمذ فال بن متالي التندغي (ت: 1287هـ)، سيد محمد بن سيد أحمد بن حبت الغلاوي (ت: 1288هـ)، الشيخ محمد فاضـل بن مامين القلقمي (ت: 1288هـ)، محمد امبارك اللمتوني (ت: 1290هـ)، أوفى بن أجفغ منصر الشمشوي (ت: 1299هـ)، محمد ولد محمد سالم المجلسي (ت: 1302هـ) [1].

المبحث الرابع: جهاد الشناقطة في سبيل نشر الإسلام ومواجهة الغزو الاستعماري:

كانت المحضرة في نشأتها الأولى رباطا للجهاد، ولم يكن الفقهاء الأوائل إلا مجموعة من المجاهدين يحملون الســـيف والقلم، يقاتلون بذلك ويعلمون بهذا موقنين أن لا تعارض ولا تناقض بين المهمتين، وإنما هي في الواقع مهمة واحدة ورســالة يؤديها العالم المســلم يريق حبر دواته في ســبيلها ولا يتردد في الانفاق من دمه اذا اقتضـــى الأمر، وقد خلد التاريخ الصـــلة العضـــوية التي صـــهرت العلم والجهاد في رحاب المحضرة، فاحتفظ شيخ المحضرة والعالم في الاصطلاح العامي الشنقيطي بلقب "المرابط [2]" الذي يحيل على دور المحضـــرة في الجهاد، ويذكر بأن العلماء الأوائل كانوا مرابطين على الثغور يجاهدون في الله حق جهاده [3].

وبهذه التربية العلمية الجهادية تأثر المجتمع الشـنقيطي بتمجيد شـأن العلم والسـلاح واعتبارهما رمز المجد والكرامة فلا مكان إلّا لمن يدلي بشـهادة علمية أو شـهادة عسـكرية، لا مكان لمن لا يحمل مهندا طريرا أو كتابا مطررا، وصـــار المثل الشـــعبي المعروف: (العيش إلا تحت الركاب واللّ تحت كتاب)، ومعناه أن قوام الحياة الكريمة لا يكون إلّا في الركاب ركاب المقاتلين أو بالكتاب [4].

---

[1] المختار كاكيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، (موريتانيا، المكتبة الوطنية، 2007) 60.

[2] وقد عرف بابا بن الشيخ سيديا "المرابط" بقوله: "هو كل زاوي ولا سيما اذا كان ذا سن أو علم أو فضل" وذلك أن صنهاجة كانوا قديما يسمون المرابطين، وسمى بها قائدهم عبد الله بن ياسين أصحابه الأولين للزومهم رابطته ثم صارت اسما لعامة صنهاجة، وقد دخلت كلمة المرابط Marabout في اللغة الفرنسية منذ القرن السابع عشر، حيث وردت في كتابات عدد من الرحالة: موكي Mocquet سنة 1617 وسين لو Saint-Lo سنة 1637، الخليل النحوي، مرجع سابق 302.

[3] الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق 1-302.

[4] الخليل النحوي، المرجع السابق 64.

وقد كانت العلاقة التاريخية للمرابطين مع نصارى الإسبان عدائية بصورة دائمة إذ لم يتخللها أي اتصال وديّ خصوصًا في زمن الأمير يوسف بن تاشفين، والاتصال الوحيد الذي حدث عن طريق الرسائل بين الأمير يوسف بن تاشفين وألفونسو أثناء قيام هذا الأخير بحملته العدائية على مملكة المُعْتَمِد، ووصوله إلى مضيق جبل طارق إذ أرسل إلى الأمير يوسف رسالة تفيض تهديدًا ووعيدًا، ويذكر فيها حالة ملوك الطوائف، فكان جواب الأمير يوسف مختصرًا: (الجواب ما ترى لا ما تسمع إن شاء الله، وأردف:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم

واستمرَّ جهاد المُرَابطين للنصارى الذين امتنعوا عن دخول الإسلام، ورفضوا دفع الجزية، وحملوا السيف ضد الْمُسْلِمِين، أمَّا الذين دفعوا الجزية، وعاشوا داخل دَولَة الْمُرَابطين؛ فكانت أَحكام الإسلام في أهل الذِّمَّة تحفهم وتحفظ حقوقهم [1].

وكان الشنقيطي ناصر الدين (ت: 1085هـ)، وهو صاحب قلم وسيف يقول: (من ركب منكم فرسه فليجعل لوحه بينه وبين سرجه، فإن الجهل هو أقبح ما يأتي به المرء الآخرة) [2].

وحين كتب الشيخ سيديا الكبير (ت: 1284هـ) الى السلطان المغربي مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن (ت: 1290هـ) لم يطلب منه إلّا أمرين: "الكتب والسلاح"، كما يتضح من هذه الرسالة الجوابية التي يقول فيها بعد ما يليق من الترحيب والفرح: (وقد علمنا ما ذكرت في شأن ما طلبتم من توجيه ما تيسر من الكتب لزاويتكم السعيدة وما تيسر من العدة والمدافع وغيرها من آلة الجهاد، إلى أن يقول في شأن الكتب وحين نتفرغ لها وننظر فيها نوجه لكم ما يناسب من ذلك. وأما العدة والمدافع فحتى في هذه الجهة ذلك قليل عندنا. وها نحن جادون بحول الله في اتخاذه وتعليم أناس لتلك الصناعة. وحين يحصل المراد من ذلك يصل تلك الجهة حظها منه ان شاء الله تعالى، والسلام) [3].

وبعد التفكك السياسي الذي أصاب المغرب العربي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر تعرضت المنطقة لبعثات احتلالية استكشافية نظمتها القوى الأوروبية اسبانيا [4]، البرتغال، بريطانيا وفرنسا بالإضافة إلى مشاركة هولندا وبلجيكا منذ عصر الكشوفات الجغرافية نهاية القرن الخامس عشر والفترات اللاحقة [5].

إلى أن دخلت بلاد شنقيط في الاهتمام الاستشراقي حيث هي جزءٌ من منظومة حضارية كبرى كانت عبر القرون محط اهتمام ومحل أطماع الإنسان الغربي، فبدأت فرنسا في إرسال الباحثين المستكشفين إلى

---

(1) علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين (القاهرة، دار التوزيع والنشر، 2003) 160.

(2) الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق 38

(3) نفس المرجع سابق، 38.

(4) أرسى البرتغاليون سفنهم في آركين سنة 838هـ؛ وفي سنة 842هـ أقاموا مركزا تجاريا هناك، المختار كاكيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، مرجع سابق، 39.

(5) علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، مرجع سابق، 165.

بلاد شنقيط بغية اكتشاف شعبها ومعرفة موارده، حيث تعرض هؤلاء المستشرقون إلى دراسة تاريخ البلاد منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام مرورا بأطوار تشكل دولة المرابطين والهجرات العربية إلى الصحراء، ثم الأدوار التي اضطلعت بها المحْضرة الشنقيطية في الحفاظ على هوية البلاد وتحصين المجتمع ضد أي وافد فكري لا ينطلق من المعتقدات الإسلامية، [1].

وحين اشتد التنافس بين الدول الأوروبية على الصمغ العربي ومع تأزم الوضع جراء هذا التنافس بادرت فرنسا بعقد اتفاقيات مع أمراء القبائل الموريتانية بغية ممارسة تجارة الصمغ بحرية مطلقة مقابل ضرائب وهدايا تدفع سنويا لأمراء هذه القبائل، ومن ثم اتسم النشاط التجاري بالاستكشاف حول المنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي حمل في طياته نوايا استعمارية، الأمر الذي عجل بضم موريتانيا إلى المستعمرات الفرنسية.

في هذه الفترة لم تكن في بلاد شنقيط دولة ذات شأن بعد دولة المرابطين، رغم قيام بعض المحاولات، لأشباه دول وإمارات، ولكن أيا منها لا يداني مستوى الدولة الصنهاجية [2]، يقول بابا أحمد بن محمد مبارك اللمتوني [3]:

ولم تنتبه من بعد لمتون دولة ولم يك في بنيانها بعدهم ظل
وأين لأهل الله نصر وراءهم ألا إن أهل الله بعدهم ذلوا

ومن ذلك قيام حركة ناصر الدين (دولة التوبة 1055- 1084هـ) والتي كان العامل الديني، حجر الأساس في بنائها، ولكنه لم يكن وحده السبب في اشعال فتيل الحرب بين "الزوايا" و"حسان"، فقد ظل بنو حسان يحتمون ببعض علماء الزوايا، وذكر أن هدي بن أحمد بن دامان، وهو أمير الترارزه، وأحد القادة البارزين للحرب، استفتى الحاج عبد الله بن بو المختار، وأفتاه بجواز محاربة قوم ناصر الدين مستشهدا بقوله تعالى: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم)، وقد ثبت أن هذا الفقيه وعددا آخر من الفقهاء كانوا ضد حركة ناصر الدين في حربه مع بني حسان، متعللين بأن هؤلاء قوم مسلمون.

وتقول الروايات الشعبية المتداولة أن سيد الحسن بن القاضي، وكان عاملا لناصر الدين على الصدقات، جاء ببه بن أحمد بن أصور الصكاعي فطلب منه اخراج زكاة إبل عنده، فامتنع، واحتمى له بنو حسان فوقعت الحرب، وسميت لذلك "شربه" أي حرب ببه، على خلاف في هذا التفسير [4].

---

[1] بوها محمد عبد الله، المحضرة الشنقيطية في دفاتر المستشرقين، (دراسات استشراقية العدد 15، 2018) 194.

[2] الخليل النحوي، المنارة والرباط مرجع سابق، 305.

[3] محمد المختار بن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، مرجع سابق 75.

[4] الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق، 307.

والواقع أن جباية الزكاة ليست إلا عاملا فرعيا، فالصراع أوسع أبعادا وأعمق أغوارا من ذلك، وهو صراع متعدد الأطراف. فقد وضعت الدولة الناصرية الفرنسيين في السنغال وبني حسان في خندق واحد، وهما طرفان سيصطرعان طويلا فيما بعد.

وكان ناصر الدين لا يقيم للفرنسيين وزنا ويرفض التعامل معهم، وقد منع تجارة الرقيق فضاقوا بذلك ذرعا. وكان يبعث رسله الى أمراء السودان يحثهم على اتخاذ الحيطة والحذر تجاه الدول الأجنبية المتربصة [1].

فهب الشناقطة من حملة السلاح والقلم للدفاع عن الأرض الأم بعدما انكشفت نية فرنسا في موريتانيا، وتزامنا مع المقاومة المسلحة كان للمقاومة الثقافية دور فعال في التخلص من المخططات الفرنسية، حيث كانت هذه الأخيرة سابقة للمقاومة المسلحة فواكبتها وخلفتها مرابطة على الثغر، وساهمت في توعية أبناء الوطن بأن فرنسا عدو يجب التخلص منه وأخذ الحذر منه [2]

وقد أدرك "الزوايا" بالعلم ما قصروا عنه بالسلاح فأسسوا دولة في القلوب خلفت بخير دولتهم على الأرض، فكانوا أهل سلطة ونفوذ في الناس، مسموعي الكلمة عند بني حسان، مشايخ لأمرائهم وقضاة وكتبة لهم، ولهذه العلاقة جذور قديمة في تاريخ البلاد، حيث كان للعلماء منذ عهد المرابطين سلطة نافذة على الامراء، فالفقيه عبد الله بن ياسين لم يكن أميرا، ولكن الامير يأتمر بأمره. وإلى الفقيه تعود صلاحية تعيين الامير بل وعزله [3].

وفعلا مارس علماء الشناقطة السلطتين القضائية والتنفيذية، في ظل الامارات الحسانية وخارجها، مستفيدين من العلاقات الطيبة التي تربطهم بالأمراء والهيبة التي يتمتعون بها في بيئتهم، وقد فرض الطالب محمد بن أبي بكر الولاتي الجزية على يهوديين زارا ولاتة [4]. وذكر أن الحاج أحمد بن الحاج الأمين التواتي الغلاوي (ت: 1157هـ) كاد أن يقيم الحدود في بلده لأنه مسموع الكلمة، وقد ترك عنده بعض الظلمة "عكتين من دهن" فلما أتاه قال له: أنت يا ابن الكلب تركت عندي شيئا؟ انما تركت عندي مال المساكين والفقراء فدفعته لهم [5].

وقد ظهر الكثير من التميز القيمي ومظاهر الخيرية عند بعض الأمراء البيضانيين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وما بعدهما [6] ، من أمثال اعلي ول أعمر (ت: 1171هـ)، في أولاد

---

[1] الخليل النحوي، المنارة والرباط مرجع سابق، 305

[2] عفاف عباس، الاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903–1960، (الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015) 86.

[3] الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق 313.

[4] الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981) 20.

[5] الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي، فتح الشكور المرجع السابق 48.

[6] جمال ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن 13 الهجري، (السعودية، جمعية الدعوة الإسلامية، 1995) 95.

امبارك، فقد كان ملكا رفيع الذكر، نافعا للمسلمين، وفي مطلع القرن الثالث عشر الأمير محمد ولد امحمد شين (ت: 1208هـ) في إيدو عيش، والمختار ابن سيدي (ت: 1256هـ)، الذي كان أميرا مغفريا، فلما غرَّبه الفرنسيون إلى الغابون، قام يدعو إلى الله، وأسلمت على يديه قرية غابونية؛ وفي الترارزه سيد ولد محمد لحبيب (ت: 1277 هـ)، السائس العادل، الذي لم يحارب في جميع ولايته، وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري أحمد ولد امحمد (ت: 1288هـــ) في آدرار، المعروف بأمير العافية. وهو الذي يصف الأديب محمد عبد الرحمن ولد المبارك ولد اليمين كرمه وتوفيره للأمن في طلعة مشـــهورة من الأدب الحساني: [1]:

من عافيتْ أحملْ امحمدْ ول أحمد ما يكبظ لغيارْ
حدٌّ إل حدْ ؤلا يعط حد إل حد إتل ماه لخبار

لذا كانت المقاومة المسلحة التي خاضها الموريتانيون في القرن العشرين ما هي إلا استمرار لمعاركهم السابقة ضد الفرنسيين والإسبان وغيرهم ممن حاولوا السيطرة على مواردهم أو على بلادهم؛ لكن هجمة العلماء، والأمراء، في ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين كانت لها طبيعة خاصة وتسارعت خطاها للنفاذ إلى قلب (اَتْرَابْ البيضان والسيطرة عليها) [2] .

الخاتمة:

من خلال العرض السابق نستطيع أن نؤكد أن المحاضن الشنقيطية نموذجٌ فريدٌ وظاهرةٌ خاصة بهذه البلاد، لم يشـهد التاريخ لها مثيلا، فالإطار المكاني والبشـري الذي ازدهرت فيه، وهو إطار بدوي يطبعه التنقل الدائم والترحال المسـتمر المخالف للتمدن والتعليم، وقد نشـأت وتطورت لأسـباب وعوامل دينية تاريخية وسياسية، حيث استطاع الشناقطة من خلالها أن يصلوا إلى مرحلة من العلم والثقافة لم يصلها غيرهم، وقد توصلنا إلى جملة من النتائج من أهمها:

أولا: أن المحضرة الشنقيطية مؤسسة تعليمية تقليدية غير نظامية، تقوم على التعليم الشفهي والمشافهة في تحصيل العلوم الشرعية، نشأت في بيئات بدوية في الصحراء الكبرى، وخاصة في منطقة شنقيط.

ثانيا: أن المحضـــرة الشـــنقيطية تميزت بنظام تعليمي فريد، يعتمد على المتون المحفوظة في العلوم الإسـلامية من علوم القرآن، والفقه، والحديث، واللغة، والمنطق؛ يُدرِّس الشـيخ تلامذته في خيمة أو تحت شجرة، ويقوم الطلبة بالحفظ والاستظهار والمراجعة.

---

[1] المختار كاكيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، (موريتانيا، المكتبة الوطنية، 2007) 60.

[2] محمد المختار ولد محمد ولد بيه، محرر، تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا من القرن 17-1920، (موريتانيا، مكتبة القرنين 2012) 17.

ثالثا: أن المحاضر الشنقيطية أسهمت في توحيد المذهب المالكي في المنطقة وأنجبت جيلًا من العلماء والفقهاء أسسوا مرجعية دينية محلية وعالمية، قادرة على الصمود في وجه التغريب، وأسهموا في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية في غرب إفريقيا والعالم، وقد أثرت بشكل واضح في الهوية الثقافية الإسلامية لشعوب موريتانيا والصحراء الكبرى.

رابعا: أن المحاضر الشنقيطية لعبت أدوارًا جهادية بارزة ضد الاستعمار الأوروبي، خاصة الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، سواء عبر الجهاد المسلح أو الجهاد العلمي والدعوي؛ وقد كانت مصدرًا للتأطير الفكري والشرعي للمقاومين، وأنتجت رموزا بارزة مثل الشيخ ماء العينين الذي واجه الفرنسيين في الجنوب المغربي وشمال موريتانيا، كما دعمت المقاومة الثقافية ضد محاولات التغريب والفرنسة والتنصير، وحافظت على استمرارية الثقافة الإسلامية في المجتمع.

ملحق المصادر والمراجع

- أبيض، مليكة. "التعليم الإسلامي في المسجد الجامع بدمشق قبل نشوء المدارس." مجلة العربي، العدد 330 (1986).
- أحمد سالم محمدو، تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال. موريتانيا، المدرسة الوطنية لإدارة.
- ابن خلكان. وفيات الأعيان. بيروت: دار صادر، 1978.
- ابن حامدن، المختار. حياة موريتانيا الثقافية، الجزء 2، الدار العربية للكتاب.
- ابن منظور. لسان العرب. مادة "حضر".
- أهميمد، آمنة بنت الولي. "الحياة الثقافية في مدينة شنقيط خلال القرن 18 م/12 هـ." بحث غير منشور، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 1990.
- البرتلي الولاتي، الطالب محمد بن أبي بكر. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981.
- البراء، يحيى. الموسوعة الكبرى لتراجم فقهاء غرب وجنوب غرب الصحراء. موريتانيا، 2007.
- بزيد، سيد محمد . "محظرة أهل سيدي يحي." بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2009.
- بزيد اليعقوبي، سيدي محمد محمد عبد الله. معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي. موريتانيا: المكتبة الوطنية، 1994.
- الجدو البرتلي الولاتي. تاريخ جدو البرتلي الولاتي: مذكرة تخرج. موريتانيا: جامعة نواكشوط، 1993.

- حلاق، حسان. المعالم التاريخية والأثرية والسياحية في العالم العربي. بيروت: دار النهضة العربية، 2009.
- الذهني، إلهام محمد علي. جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1914م. الرياض: دار المريخ للنشر، 1988.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.
- السالم، حماه الله. تاريخ بلاد شنقيط (موريتانيا): من العصور القديمة إلى حرب شرببه. بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.
- السالم، حماه الله. حجاج ومهاجرون: علماء شنقيط في البلاد العربية. بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.
- السالم، حماه الله. المجتمع الأهلي الموريتاني: مدن القوافل. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008.
- السوسي، محمد المختار. المعسول. الجزء 4.
- الصلابي، علي محمد. الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين. القاهرة: دار التوزيع والنشر، 2003.
- العبادي، فتحية. الاحتلال الفرنسي لموريتانيا 1900-1960. الجزائر: جامعة أحمد دراية آدرار، 2017.
- عبد الله، ددود. الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (17-18). المغرب: جامعة محمد الخامس، 1993.
- عباس، عفاف. الاستعمار الفرنسي في موريتانيا 1903-1960. الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015.
- عباس، سعدون. دولة المرابطين في المغرب والأندلس. بيروت: دار النهضة العربية، 1985.
- العلوي، محمد عبد الكبير. علماء شنقيط والمذهب المالكي. ندوة الإمام مالك. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1980.
- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف. تاريخ المغرب والأندلس. القاهرة: مكتبة نهضة الشروق.
- القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك. المغرب: مطبعة فضالة، 1983.
- كاكيه، المختار. مجمل تاريخ الموريتانيين. موريتانيا: المكتبة الوطنية، 2007.
- المامي، الشيخ محمد. كتاب البادية (مخطوط). موريتانيا: المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 2003.
- المصطفى، سيدي محمد محمد. "الأوقاف في موريتانيا: الواقع والآفاق." ورقة بحثية مقدمة في مؤتمر الوقف الإسلامي: التحديات واستشراف المستقبل. السودان، 2017.

- النحوي، الخليل. بلاد شـــنقيط المنارة والرباط. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1987.
- ولد أباه، محمد المختار. الشعر والشعراء في موريتانيا. الرباط: دار الأمان، 2003.
- ولد الحسن، جمال. الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري. السعودية: جمعية الدعوة الإسلامية، 1995.
- ولد الشيخ، عبد الودود. المجتمع والسلطة والأخلاق في بلاد شنقيط. الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق. 2004.
- ولد الشيخ، محمد الأمين. الشيخ ماء العينين: العالم المجاهد. نواكشوط: المكتبة الوطنية، 1997.
- وزارة الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي. تقارير رسمية. نواكشوط: الحكومة الموريتانية، 2019.
- ولد اباه، محمد المختار. المدارس الفقهية في الغرب الإسلامي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995.
- ولد الددو، محمد الحسن. المحاضر الشنقيطية: جامعات إسلامية متنقلة. موريتانيا: مركز تكوين العلماء، 2016.
- ولد سيدينا، حفصة بنت محمد. "الحياة الثقافية في منطقة بوتلميت من خلال محضرة أهل داداه." بحث غير منشور، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 1989.
- ولد عبد الله، ســـيدي. صـــحيحة النقل في علوية "إدوعلي" وبكرية محمد قلي. موريتانيا: المركز الموريتاني للبحث العلمي، 2001.
- ولد محمد الصوفي، محمد الأمين. المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني. السعودية: جامعة الملك سعود، 1406هـ.
- وليدات، النقيب غاســتون دوفور. تاريخ العمليات العســكرية في موريتانيا من القرن 17–1920. تعريب محمد المختار ولد محمد ولد بيه. موريتانيا: مكتبة القرنين، 2012.
- بوها، محمد عبد الله. "المحضرة الشنقيطية في دفاتر المستشرقين." دراسات استشراقية، العدد 15 (2018).